# طبيعة المنهج الأركيولوجي عند ميشال فوكو

## The nature of the archaeological method for Michel Foucault

حميدي لخضر*

جامعة المسيلة– الجزائر[1]



| تاريخ الإرسال | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2020-09-12 | 2020-11-06 | 31-12-2020 |



**الملخص:**

رغم كثافة البحوث العلمية وتطور المناهج الدراسية ، ورغم التشابه الظاهر أحيانا ، والخفي أحيانا أخرى في الأعمال العلمية بين الباحثين . إلا أن منهج الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو" يعتبر منهجا فريدا من نوعه كونه مخالفا لغيره من الباحثين ، بل يمكن اعتباره مشروعا متميزا إذ جعل من المنهج الأركيولوجي دراسة للتاريخ القبلي الخاص لعصر ما وجعل المعرفة تنبثق منه بمفردها دون تدخل الذات التي تكون في شكل حقب منطوقية . ونحن نسعى من خلال هذا المقال إلى محاولة حاولنا تقديم فكرة بسيطو وواضحة عن السيرة الفكرية ل "ميشيل فوكو M – Foucaud " وتوضيح صورة مشروعه الفلسفي خاصة في جانبه الأركيولوجي من خلال التعريف **بمستنداته وقواعده** ، وكذا التركيز على المفاهيم الجديدة المستعملة فيه : **(المقال – المنطوق – والأرشيف )**، ناهيك عن المتطلبات لمنهجه ومجال البحث فيه مع ذكر **خصائصه** ، معتقدين أن الكتابة حول " ميشال فوكو " ومنهجه الأركيولوجي ضئيلة ، وهو الذي قام بالكشف عن جذور المعرفة البشرية دون تأويلها أو الحديث باسمها ، بل ترك النص يتكلم لوحده Laissez le discours parler seul" . لقد وضع " ميشال فوكو" لنفسه طريقا جديدا لم تعهده المناهج الأخرى من قبل حيث اعتبر أول من فكر في صياغة التحول الابستمولوجي بما يشمله من قطع ، وما يترتب عليه من ظهور " ابستميات " جديدة. وأيضا كون البنيوية كانت فاتحة حقبة معرفية جديدة أصبح فيها الرمز موضوعا للعلم.

**الكلمات المفتاحية:** أثر –المنهج– ميشال فوكو –

**Abstract:** My approach to the French "Michel Foucault" is not an easy matter, and the clarification of his philosophical thought is considered a kind of risk because that requires us to be familiar with his ideas that he also derived from the structural approach, not to mention his difficult style in the French language, and sometimes the complex, whether in terms or phrases. These obstacles determined to address it, and to simplify this article in order to facilitate its understanding, especially since many complain about the difficulty of understanding and interpretation, hoping for success. The compromise but God I trust him and I turn to him .

**Keywords:** Michel Foucault, method

lakhedar.hamidi@univ-msila.dz

## طبيعة المنهج الأركيولوجي عند " ميشال فوكو":

لا يختلف اثنان في أن الوجودية كمذهب إنساني قد طغت على الفكر الإنساني عامة والفكر الفلسفي الفرنسي خاصة لفترة زمنية معينة ، لارتباطها بطبيعة الحال بأهم معضلة إنسانية ألا وهي " الحرية" التي تعد مشروعا في حد ذاته ، إلا أن الفكر البشري وفي سيرورته جعل من هذه الوجودية التي ركزت كثيرا على الذات ، بل وبالغت في الذاتية كثيرا إلى درجة أن صارت محلا للشك خاصة بعد أن فقد فيلسوف الحرية مصداقيته ، حينما استمر في الدعوة لوجوديته الإنسانية ما بين ( 1952 – 1956 ) مما ساهم بشكل كبير في بزوغ تيار جديد تمثل في البنيوية الذي جاء كرد فعل على الذاتية السارترية .

هذا الاتجاه البنيوي الذي وجد بطبيعة الحال التربة الخصبة والجو الفكري والفلسفي المناسب خاصة الفلسفي الملائم لسد ثغرات النزعة الوجودية بحيث صار المناخ الثقافي مواتيا لملء الفراغ من خلال وقوفها المعارض اتجاه الذاتية لتقليل منها ، والتي أصبحت تتحكم في سلوكات الإنسان ، بل في الإنسان برمته . ومن هنا فالبنيوية أو " البنيويون يصلون في رفضهم لذات المؤلف أصلا إلى القول بأن المؤلف قد مات " (عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ،163).

تهتم البنيوية بمختلف الأنساق الداخلية والبنيات وفكرة النظام عن طريق الحفر تحت السطح، أي أن " البحث البنيوي يدرس البنى التحتية اللاواعية للظواهر وليس طبقاتها الظاهرة أو الواعية " (عبد العزيز حمودة ،ص 205.). ومن هنا أخذت هذه النزعة البنيوية حقها من النمو والرقي حيث أن " التقدم الذي تعترف به البنائية هو ذلك الذي يرى أن طريق المستقبل يمر بالماضي وأن الوصول إلى القديم يتم من خلال مراجعة ما تم بالأمس ، فالبذور القديمة موجودة دائما ، وكل ما نفعله هو أننا ننميها بطريقة جديدة " (عمر مهيبل ،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر . ، ص 25.)

وهذا يعني أن الاتجاه البنيوي يمكن اعتباره بمثابة ثورة منهجية في الفلسفة الفرنسية على وجه الخصوص من خلال مشروعات تحليلية ، تفسيرية ، ونقدية .

ولعل من الذين تبوؤوا مقعدهم في الاتجاه البنيوي نجد الابستمولوجي الفرنسي " ميشال فوكو" الذي قدم أعمالا كبيرة في هذا المجال . **فما هي هذه الأعمال المعتبرة التي قدمها " ميشال فوكو " ؟**

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن هؤلاء حاولوا تأسيس فلسفة علمية ، ومنهم " ميشال فوكو " الذي استخدم المنهج البنيوي باعتباره من " المفكرين الفرنسيين المعاصرين الذين واكبوا انتشار البنيوية فكرا ونظرية وإيديولوجية ومنهجا " (محمد علي الكردي، نظرية المعرفة والسلطة عند ميشال فوكو ، ص 08). لكن ما لبث أن تخلى عنها . ولكي نعرف حقيقة وكنه " ميشال فوكو" لا بد من التذكير هنا بأن أعماله متجسدة في كتب أساسية ثلاث تمثل منهجا جديدا في مجال البعث العلمي فيما يتعلق بالظواهر الإنسانية . ومن باب التذكار وليس التكرار نجد أولى مؤلفاته قد صدر بعنوان " تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي " (L histoire de la folie a l âge classique عام 1961 حيث سعى من خلاله إلى تغيير النظرة والرؤية الكلاسيكية للجنون .

وثاني مؤلفاته " ميلاد العيادة " Naissance de la clinique برز للوجود عام 1963 وفيه حاول تحديد علاقة الجسد بالمرض موضحا كيف أن العلاقة بينهما ليست بطبيعة ميتة، وإنما هي في ماهيتها أحداث ذات مرام ودلالات .

وأخيرا مؤلفه الشهير الذي يحدد من خلاله منهجه الأركيولوجي والذي جاء بعنوان " الكلمات والأشياء" Les mots et les choses ) وهو مخصص أيضا لدراسة الظواهر الإنسانية .

ومن هنا لا يمكن فهم منهج الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " إلا بقراءة كتبه الثلاثة مجتمعة والدليل على ذلك قوله : " إن أيا من هذه الكتب الثلاثة ليس كافيا أو مستقلا بذاته ، فكل واحد منها يعتمد على الاثنين الآخرين ولا يفهم بدونها خصوصا وأن الدراسة في كل منها

تختص بكشف جزئي لمنطقة محددة " (عبد الوهاب جعفر ، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو ، ص 26.).

وهذا يعني أنها متماسكة متكاملة فيما بينها ، ناهيك عن الكتب الأخرى التي صدرت له على غرار : نظام الخطاب L'ordre du discour عام 1971 – المراقبة والعقاب Surveiller et punir سنة 1975 – تاريخ الجنس Histoire du sexe عام 1976عام – أركيولوجيا المعرفة الذي صدر له سنة 1969.

تجدر الإشارة هنا إلى أن أفكار" ميشال فوكو" عسيرة الفهم لأن أسلوبه معقد جدا يصعب على الإنسان العادي قراءته وفهمه ذلك أنها تقتضي نباهة قوية وذكاء خارقا لفهمه سواء في العبارات أو حتى في التعبير والتي تمثل منهجه الأركيولوجي .

**فما هو هذا المنهج الأركيولوجي ؟ وكيف استخدمه ووظفه " ميشال فوكو" ؟**

مبدئيا لا بد من القول أن الأركيولوجيا هي ذلك العلم الذي يقوم بالبحث عن أشياء ملموسة لحضارة قديمة تحت الردم منذ زمن بعيد ، وهذا من خلال عملية البحث والتفتيش أو بالأحرى " التحفير " فتوضع قيد الدراسة لتحليلها ثم إعادة تركيبها من جديد ، ومن ثم تبرز مظاهر الحياة القديمة ، ذلك أن المتأمل بعمق في اللغة اليونانية يجده مشتق من اللفظ " اليوناني " أركيه أو Arche أما " أرخايوس Arkhaios الذي يعني قديم "( زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفية، ص 133.).

غير أن المصطلح لم يعد مقتصرا في دلالته على علم الآثار فحسب ، بل تعداه إلى الكشف عن الطبقة الحفرية التي تقوم عليها المعرفة ، فيما بات يصطلح عليه عند " ميشال فوكو" بالابستمية ، أي أن " مهمة الأركيولوجيا التي تتمثل بالضبط في كشف النقاب عن الطبقة الحفرية ، إبرازها فوق السطح وتركها تعبر عن نفسها عن طريق تقديم ما تحتويه بين طياتها دون أية إضافة ودون إقحام الذات ، ومن ثم كانت مسلمة " ميشال فوكو " الأساسية في

منهجه الأركيولوجي هي كما يلي : دع المقال وحده يتحدث ".بمعنى أصبح للأركيولوجيا أسس تستند عليها ، **لكن ما هي مستندات هذا المنهج الأركيولوجي ؟**

**مستندات المنهج الأركيولوجي :**

لقد كانت دراسة الشرائح المطمورة وتحليل الأرضية السفلى من أولى اهتمامات الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " ، والذي كان يرى بأنها تمثل البنية الضمنية للمعرفة ( الابستمية) الخاصة بعصر معين مثلما فعل الألماني " فريدريك نيتشه " بالمنهج الجينيالوجي ، أو كالذي فعله الألماني " كارل ماركس " بالبنية التحتية حيث كفا عن مواجهة نسق بنسق ، بل حفر تحت السطح لفرز ما يمكن تفسيره " (ميشال فوكو ، نظام الخطاب، ص 86). ولو لم يستعن " ميشال فوكو " ببعض الأسس والتي جعل منها ركائز ما استطاع دراسة الظواهر أركيولوجيا، والدليل على ذلك قوله : " **أعلم جيدا أنه لم يكن بإمكاني القيام بهذه الأبحاث التي حاولت أن أقدم لكم صورة عنها لو لم أستمد العون والمساعدة من بعض النماذج والدعائم** " (ميشال فوكو ، نظام الخطاب، ص 45). **ولعل من أهم هؤلاء الذين استعان بهم الفرنسي " ميشال فوكو** " " **دوميزيل Dumézil**" الذي استفاد كثيرا من نصوصه ناهيك عن تعليمه كيفية تحليل التفاعلات الداخلية للخطاب بطريقة أخرى غير طرائق التفسير التقليدي أو بواسطة طرائق الصورية اللسانية محاولا من خلال ما علمه تطبيق هذه المنهجيات على خطابات مغايرة . كما أن هناك فكرة جاءته عن طريق ما قام به مؤرخو العلوم مثل " كانغيليم Canguilhem " الذي ساعده هو الآخر على فهم تاريخ العلم . وأخيرا " جان هيبوليت " الذي اعتمد عليه أيضا وهذا باعترافه هو شخصيا حيث نجده يقول : " لكني أعتقد أني مدين كثيرا لجان هيبوليت " (ميشال فوكو ، نظام الخطاب، ص 50). بل وأكثر من ذلك يعود ويقول: " وذلك لأني قد ورثت عنه بدون شك وجهة وإمكانية إنجاز ما أقوم به ، وذلك لأنه غالبا ما أنار لي الطريق عندما كنت أحاول على غير هدى عندما عزمت على القيام بعملي تحت

إشرافه ، وعندما عزمت على إتمامه – تقديم مشاريعي – إن المسائل التي أطرحها الآن تتجه صوبه وتتلاقى في اتجاهه ، أي في اتجاه هذا النقص الذي أشعر فيه في نفس الوقت بغيابه وبنقصي الخاص (عبد الوهاب جعفر ، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو ص 36 ).

وما أود أن أشير إليه هو أن هذه الاعترافات بفضل هؤلاء عليه قد أدلى بها الفرنسي " ميشال فوكو " في الخطاب الافتتاحي الملقى في الكوليج " دو فرانس" في 02ديسمبر 1970. وقد وضح " ميشال فوكو" القواعد التي اتبعها في بحثه الأركيولوجي أثناء الكشف عن بنية الفكر الغربي وتعريته انطلاقا من " دع المقال وحده يتكلم " ( Laissez parler le discours seul ) دون إقحام الذات متبعا ما يلي:

أولا : عدم الالتزام بالقطاعات المعرفية المعترف بها والقطاع المعرفي وهو ما يسمى علما ليس في الحقيقة سوى مجموع من القضايا تطبق على العديد من الوقائع المتفرقة "( نفسه ، ص 36.). وهذه القطاعات يجب أن لا نرى فيها سوى وقائع مقالية .

ثانيا : لكي يظهر تفرد هذه الوقائع المقالية Ces faits discursifs

ولكي لا نبتعد عن مستوى المقال ينصحنا " ميشال فوكو " بوقف جميع الوحدات التي تكونت بفعل عمليات مفسرة " أي تسلل إليها العنصر الذاتي ، وأول هذه الوحدات هو الكتاب ، ولا يغيب عنا بهذا الصدد أن هدم الكتاب إنما يعني عدم الاعتراف بأي مؤلف "( نفسه ، 36). والمقصود بذلك أنه يخرج المقال من الوحدات التي تنبع عن فعل التفسير ( أي الذات المفسرة).

**ثالثا** : التخلص من الأفكار العامة التي تضمن استمرارا لا متناهيا للمقال .، والتخلص من أي عنصر يدعي إقامة استمرار ليس له ما يبرره بين عدد من الشواهد المقالية ، ويتبع ذلك الابتعاد عن التفسيرات التي تعتبر المسار التاريخي متصلا.ويعني بذلك التخلص من كل العناصر التي تؤدي بالمقال إلى الاستمرار.

**رابعا** : " التخلص من بعض المفاهيم كالتقليد والتأثر والنمو والتطور والعقلية والنفس ويترتب عن ذلك كله أن نتجنب التأليف السيكولوجي ، أي ما تقدمه الذات من تأليفات سيكولوجية ". وإتباعه لهذه القواعد جعله ينتج خطة ابستمولوجية جديدة اعترضتها عدة صعوبات منهجية من أهمها :

**أولا** : يكون البناء انطلاقا من الوثائق المدروسة ككل متناسق ومتجانس ، ويكون إما منغلق أو منفتح ، معين أو غير معين .

**ثانيا** : التعريف بمستوى التحليل والعناصر الهامة المكونة له ، والتي قد تكون بيانات بالأرقام أو بيانات تشريع أحداث أو نظم أو تطبيقات عملية أو حتى بعض الكلمات المستخدمة ومجالاتها الدالة

**ثالثا** : البحث عن مبدأ الاختيار ثم تعيينه بالاعتماد على مجموعة من العينات حسب المنهجية المتبعة في الإحصاء

**رابعا** : تعيين منهج يختص بالتحليل يتناول الجانب الكمي للمعطيات وتحليلها .

**خامسا** : تحديد المجموعات المندرجة تحتها والتي تنبثق عنها المادة المدروسة . وهذه المجموعات يمكن أن تكون مناطق جغرافية أو حقبا تاريخية .

**سادسا** : تحديد العلاقات التي تميز أي مجموعة . وقد تكون علاقات عددية أو منطقية أو وظيفية أو علية أو تمثيلية أو حتى علاقة الدال بالمدلول .

وهكذا كما نلاحظ نجد " ميشال فوكو" يهمل بعض المسائل كالتي اهتمت بها فلسفة التاريخ كالمعقولية والصيرورة مقدما بدلها مفاهيم جديدة كالمقال ، والمنطوق ، والأرشيف.

**المقال** : استنادا إلى ما سبق ذكره آنفا ، أي بالاعتماد على القواعد السابقة قدم لنا " ميشال فوكو " وصفا جديدا ومختلفا للمقال حيث قام بتعريفه مع الكشف عن أهم مميزاته ، بحيث لا يدرس هنا الأفكار والتمثلات ، والصور والقضايا والموضوعات التي قد تبدو أو تتخفى عبر

المقال أو المقالات ولكن يدرس تلك المقالات نفسها من حيث هي ممارسات تخضع لمجموعة من القواعد (زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفية ، ص 163.). وهو بهذه الطريقة يحاول تحليل المقال حتى يصف هذا المقال نفسه مستبعدا في ذلك تدخل العوامل الذاتية التي قد تغير من قيمته الموضوعية بعزل المقال عن اللغة والفكر.

هذا المقال وحسب ما يرى " ميشال فوكو" يتكون من مجموع تتابع الرموز من حيث هي منطوقات (عبد الوهاب جعفر ، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو ، ص 57). كما نجد أنه عبارة عن " وحدة وعدم استمرار في التاريخ (نفسه ، ص 59). و" ميشال فوكو" لا يتناول هذا المقال على أساس أنه وثيقة أو رمز لشيء أخر أو عنصر مرئي ، بل يتناوله على أساس أنه أثر، يتركه يتحدث عن نفسه بنفسه وأثناء هذا الحديث تظهر حقائق جديدة لم تفصح عنها من قبل الحقب المنطوقية.

**المنطوق** : يعتبر عند " ميشال فوكو " الركيزة الأساسية التي يرتكز عليها " المقال " والدليل على ذلك قوله : " لقد استخدمت كلمة منطوق للإشارة إلى أحداث مفردة في مقابل هذه المجموعات التي نسميها مقالا . ويظهر المنطوق لأول وهلة كعنصر أول لا ينقسم يمكن أن يستقل بذاته ، وبإمكانه أن يدخل في علاقات مع عناصر أخرى مماثلة ... إن المنطوق ذرة المقال "( نفسه ، ص 41).وهو ينشأ عن رموز وبواسطة الحدس والتحليل يمكن لنا أن نقرر معنى هذه الرموز والقواعد التي تخضع لها ، ومعرفة أيضا دلالاتها ، بحيث إذا ما وجدنا رمزا أو مجموعة من الرموز فهذا يعني وجود منطوق .لكن ما ينبغي أن نعرفه هو أن هذا المنطوق من الصعب الوصول إلى التعريف المناسب له ، خاصة أنه يعتبر الغشاء الخارجي الذي تنطلق منه كل التحليلات اللغوية . كما أنه غير مرئي مما يتعذر علينا أن نتوصل إليه بالإدراك الحسي ، وهذا ربما كونه كالأجسام الشفافة التي من شدة شفافيتها لا تظهر بوضوح

**الأرشيف**: يقول " ميشال فوكو" موضحا معنى الأرشيف : " لا أقصد بهذا المصطلح مجموع النصوص التي احتفظت بها ثقافة ما بوصفها وثائق ماضيها الخاص ، أو شهادة عن هويتها

المثبتة ، كما أنني لا أقصد مؤسسات مجتمع معطى ، والتي تسمح بتسجيل المقالات التي نود أن نتذكرها ونحفظها ... الأرشيف هو القانون الذي نعرف من خلاله ما قد قيل ، وهو النسق الذي يحدد ظهور المنطوقات بوصفها أحداثا فردية " (عمر مهيبل ، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ، ص 141.). أو " هو النسق العام لتكوين المنطوقات وما يطرأ عليها من تحول "

وبتعبير آخر يمكن القول أن الأركيولوجي يستطيع أن يلتمس مجموعة من القواعد العاملة في وسط ثقافة ما ،كما يساعد على منع تكديس الأشياء التي قيلت تكديسا غير منتظم . غير أن الأرشيف هو " ما يميز المقال في حدود وجوده المتعدد وما يحدده في ديمومته الخاصة ".

**المتطلبات المنهجية لميشال فوكو** : لا بد من التذكير هنا بأن هناك بعض الالتزامات التي تقيد بها " ميشال فوكو" من أجل إنجاز عمله الأركيولوجي والمتمثلة في أربع مبادئ هي كالآتي :

**أولا : مبدأ القلب** : نظن في الكثير من الأحيان أننا " نتعرف على منبع الخطابات وعلى مبدأ غزارتها واستمرارها عبر الأوجه التي يبدو أنها تلعب دورا إيجابيا ، كالمؤلف والفرع المعرفي وإرادة المعرفة ، يجب بالأحرى أن نعين مبادئ التقليل هاته ، وبمجرد أن نكف عن اعتبارها كهيئة أساسية وخلاقة ، فماذا نكتشف تحتها ؟ هل يتعين قبول الامتلاء الضمني لعالم من الخطابات ، المتلاحقة ؟ لذلك يلزمنا هنا إدخال مبادئ منهجية أخرى " (مشال فوكو،نظام الخطاب ، ص 34).

**ثانيا : مبدأ عدم الاتصال (الانفصال:** هنا يقر " ميشال فوكو" بتواجد منظومات للتقليل يسودها خطاب كبير غير محدود متصل ، ومن فعل المنظومات عليه يصبح حبيسا ، وما لم يتأت التفكير فيه شيئا يجوب العالم ويتشابك مع كل أشكاله ، ومع كل أحداثه ، لا مقولا ولا مفكرا فيه يتعين في النهاية التلفظ به أو التفكير فيه ، يتعين معاملة الخطابات على أنها

ممارسات غير متصلة ، ممارسات تتقاطع وتتقارب أحيانا لكنها تتجاهل بعضها أيضا وتستبعد بعضها "( نفسه ،ص 34).

**ثالثا : مبدأ الخصوصية أو النوعية :** يشترط " ميشال فوكو " عدم إذابة الخطاب حيث نجده يقول : "علينا ألا نذيب الخطاب في لعبة دلالات مسبقة ، وألا نتخيل أن العلم يصوب نحونا وجها يمكن قراءته وجها لم يبق علينا سوى أن نفك رموزه ، إن العالم ليس طوع معرفتنا . ليست هناك سلطة فكرية سابقة على الخطاب تهيأه لصالحنا .

يجب تصور الخطاب كعتق نمارسه على الأشياء وعلى كل حال كممارسة نفرضها عليها ، وضمن هذه الممارسة يمكن أن تجد أحداث الخطاب مبدأ انتظامها ".

**رابعا : مبدأ الخارجية أو المحيط البرانى :** يشترط " ميشال فوكو" هنا عدم الانطلاق من الخطاب نحو قلب وصلب الفكرة ، أو ما يتجلى فيه من دلالة ، بل يجب أن ننطلق بداية من ظهوره أي " انطلاقا من الخطاب نفسه، وانطلاقا من ظهوره وانتظامه، نحو شروط إمكانه الخارجية ، أي نحو ما يتيح من الفرصة لظهور السلسلة العرضية لهذه الأحداث وما يرسم لها حدودها "._هكذا إذا وبعدما توصلنا إلى بلورة مجموعة من القواعد و المتطلبات المنهجية التي اتبعها الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو" في منهجه الأ ركيولوجي ، نستطيع الآن تحديد معالم المجال الذي قام فيه بدراسته .

**فما هو هذا المجال؟.**

**مجال البحث الأركيولوجي:** ركز الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو " على الظواهر الإنسانية التي بطبيعة الحال تنطلق من الإنسان وتعود إليه ، وهو " المجال الذي تظهر فيه وتتشابك مشكلات الكائن الإنساني والشعور والأصل والذات ، بل ومشكلة البناء أيضا " (عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة ، ص 107.).

وبطريقة أخرى ركز " ميشال فوكو " على العديد من المجالات الخطابية المتمثلة على سبيل المثال في : الاقتصاد السياسي ، علم النفس الباثولوجي ، التاريخ الطبيعي ناهيك عن علم الطب وعلم النحو وغيرها . وما هي إلا مراحل ابتدائية لبعض العلوم لم تصل إلى مرحلة الاكتمال العلمي التي تسهل على " ميشال فوكو " الانطلاق نحو تحديد مجالات وضعية باعتبارها نقطة البداية لكل دراسة .كما تعتبر هذه مراحل ابتدائية لبعض العلوم التي لم تصل إلى مرحلة الاكتمال العلمي التي تيسر السبيل لكي ينطلق منها " ميشال فوكو " لتحديد مجالات وضعية الخطاب لكونه يعدها نقطة البداية لكل دراسة . علاوة على ذلك يرى " ميشال فوكو" أن لهذه الوحدات الدراسية ليس من الضروري أن تتطابق مع المجالات الوضعية المحددة للخطاب ، والتي يصل إليها في آخر التحليل .

ودليل عدم التطابق هذا نلاحظه من خلال موضوع دراساته الأولى ، حيث نجد أن النقطة التي انطلق منها في كتابه " تاريخ الجنون " تتقاطع مع ظهور المجال المجرد المسمى بالطب النفسي في القرن التاسع عشر ، وهو المجال الذي لم يكن يرد إلى شيء محدد في القرن السابق عليه نظرا لأن ما كان يطلق عليه في القرن الثامن عشر اسم أمراض الدماغ أو الأمراض العصبية ، لم يكن يخضع لنفس الانتظام العلمي أو لنفس المواصفات والمعايير التي خصه لها الطب النفسي في بداية عصر الوضعية العلمية " (محمد علي الكردي ، نظرية المعرفة والسلطة عند ميشال فوكو ،ص 19). وقد كان " ميشال فوكو " يرى بأن القرن التاسع عشر هو القرن الذي ظهرت فيه التمفصلات المختلفة للمعرفة بقوة كالأدب ،الفلسفة والنزعة الإنسانية بشكل عام باذلا في ذلك أقصى جهوده ، فقد كان " يحاول جاهدا تحديد مجالات ذات طابع خاص ، إذ هي لا تنطبق من جهة على العموم المتعارف عليها ، والتي يقوم بتحليلها وتقصي خطواتها التاريخية أصحاب التنظيم الابستمولوجي مثل الفرنسي

( **غاستون باشلار وكانجيلم** )، كما هي لا تنطبق تماما من جهة أخرى على مواد دراسية مكتملة أو على الأقل واضحة المعالم والحدود ". وبناء على ما سبق يمكن القول أنه أصبح هناك مجالا جديدا للبحث العلمي أو الكشف العلمي ألا وهو المجال الابستمولوجي ، أو ما

سماه هو نفسه باسم الابستمية . وحين يستخدم " ميشال فوكو" هذه الكلمة فإنه يعني بها " مجموع المقولات الموضوعية ... وعلى ذلك فإن المنهج الأركيولوجي – بمعنى ما من المعاني – هو دراسة ابستمية العصر الواحد " (زكريا ابراهيم ، مشكلات فلسفية ، مشكلات البنية ، ص 137). وهذا يعني أن قواعد النظرية الجديدة التي أرسى قواعدها " ميشال فوكو" في المجال المعرفي اعتمدت أساسا على مفهوم الابستمي الذي يلعب الدور الأساسي في إطار المنهج الذي استعمله " ميشال فوكو" في عملية البحث والتنقيب عن الحقب المعرفية وخفاياها . هذه الابستمية لدى " ميشال فوكو" أدت إلى عنصر خفي غير متعقل يكمن في باطن كل مرحلة من مراحل الثقافة . وكأنه ضرب من التنظيم الأصلي الذي يمكن اعتباره بمثابة التربة الوضعية (الايجابية) أو (الأرضية الثابتة) التي تتم فوقها بالضرورة عملية تصنيف التجارب وتفسيرها ".

هكذا إذا وبعد أن تعرفنا على مجال البحث الأركيولوجي ، بقي لنا أن نتساءل عن أهم الخصائص التي تميز بها هذا المنهج الأركيولوجي ؟

**فما هي خصائص المنهج الأركيولوجي ؟**

**<u>خصائص المنهج الأركيولوجي</u>** : لا بد من الإشارة إلى أن الأركيولوجيا تختلف عن علم تاريخ الأفكار في إهمالها لدراسة النظريات ، المذاهب ، الآراء أو العقائد أو تأكيد الاختراعات أو تمجيد الأبطال وانتصاراتهم .... الخ واهتمامها بإعادة صياغة ما صدر من أقوال واقتطاف مع ما تناثر من انجازات كلامية عبر مساحات بالغة الدقة والتحديد .

أما الأركيولوجيا ف " تعرف أنماط وقواعد الممارسات المقالية التي تنتقل عبر أعمال فردية بهدف قيادتها أو التحكم فيها . أما دور الجهد الفردي الخلاق باعتباره سببا لوجود الإنتاج الفكري ومبدأ لوحدته فهذا ما يبدو غريبا على هذه الأركيولوجيا " (عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة ، ص 84).

والمقصود بذلك أنها تسعى إلى تعريف المقال ذاته وإبراز قوانينه الخاصة به .

إذا الأركيولوجيا " لا تنشغل بالاكتشافات كما أنها لا تتفرغ للبحث عن الآراء الشائعة أو ما يردده الرأي العام في فترة معينة أو مكان محدد ، فهي إذا نظرت فيما كتبه أمثال "ديدرو" أو" داروين" فإنها تستهدف التوصل فقط إلى اطراد الممارسة المقالية ، وهي ممارسة تسير على وتيرة واحدة إذا كانت منبثقة عن نفس الحقبة المنطوقية " (عبد الوهاب جعفر،البنيوية بين العلم والفلسفة ، ص 87). وهي بذلك تقوم بإبراز كل ما " يشكل الخطاب من انجازات وممارسات كلامية ومنطوقية تخضع لقواعد ومبادئ إجرائية خاصة بها . هذا الخطاب تدرسه في صورة أثر له مساحته الخاصة المستقلة ، وهذه المساحة التي يناط بها فك ما يرتسم فيها من رموز وما ينتشر من علامات إلى أن تستنبط قواعد توزيعها ، ويعاد ترتيب ما تحرزه من ألوان الانجاز الخطابي الذي لا يحتاج فهمه إلى تفسير يسبقه أو تصور يلحقه (محمد عي الكردي ، نظرية المعرفة والسلطة عند ميشال فوكو، ص123).

كما أن هذه الأركيولوجيا هي عبارة عن تحليل مقارن حيث نجد أنها تقوم بتمييز التكوينات المقالية عن بعضها البعض مع إقامة مقارنة بين هذه التكوينات وهي " تقيم ضربين من المقارنات : مقارنة بين المجالات الخطابية المختلفة التي تتضمنها أرضية معرفية ووضعية مشتركة ، ومقارنة المؤسسات والتنظيمات السياسية والظواهر الاقتصادية والاجتماعية والتقنية ". وهكذا يتجلى لنا الهيكل الأساسي للأركيولوجيا حيث تنحصر في كونها تقوم بتحديد المقال وتعيينه في حد ذاته .

هذا الأخير تعالجه كأثر من الشيء الذي يستحوذ اهتمامها وهو التعريف بالمقال مع إبراز أهم مميزاته ، ومن جهة أخرى التعريف بأنماط الممارسات المقالية وقواعدها . وأخيرا فإن الأركيولوجيا لا تكرر ما قيل أو ما فكر فيه من قبل ، بل إنها تعيد الكتابة فقط ." إن الأركيولوجيا ينبغي إذن أن تتابع التجمعات ( أي تجمعات المنطوقات) وتخترق المستويات (أي الوحدات المعرفية ) ، وألا يقتصر عملها على مجرد متابعة سير الظواهر والمنطوقات وفقا لبعد أفقي أو رأسي ، بل طبقا لمحور متحرك يساير المنهج الأركيولوجي(عبد الوهاب جعفر ، البنيوية بين العلم والفلسفة ، ص 107.).

وهكذا فهي تسعى إلى التعرية الأركيولوجية لأسس الحضارة الغربية الليبرالية على مستوى الانجازات والمؤسسات وتبيان ضحاياها على أرضها بالذات ، ولكل حضارة ضحاياها بطبيعة الحال . لقد كان " ميشال فوكو" ينشد الدقة والصرامة العلمية في مجال العلوم الإنسانية على وجه الخصوص حيث أعطى أبعادا معرفية فلسفية جديدة حيث يمكن القول أنه جسد صورتين للفيلسوف :

1-صورة الفيلسوف الذي يفكر بالمسائل المعرفية والنظرية الكبرى ويفكر بمشكلة الحقيقة .

2-وصورة الفيلسوف المنخرط في أحداث عصره وقضاياه .

فهو في مشروعه المعرفي الأساسي قد حاول تجديد الابستومولوجيا الفرنسية من بعد زميله الفرنسي " غاستون باشلار " و " جورج كانغليم " وحاول تغيير مفاهيم تاريخ الأفكار وكيفية دراسة الماضي ، وبذلك يمكن القول أيضا هنا أنه كان وفيا للفيلسوف الألماني " ايمانويل كانط " ولغته الفلسفية حيث كرس كتابين لهذا الجانب هما : " الكلمات والأشياء Les Mots et les choses " و" أركيولوجيا المعرفة Archéologie de la perception ".

**المصادر والمراجع :**


1. عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، سلسلة عالم المعرفة مطابع الرسالة ، الكويت.
2. عمر مهيبل : البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط/2، 1993.
3. محمد علي الكردي، نظرية المعرفة والسلطة عند ميشال فوكو ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،
4. -عبد الوهاب جعفر ، البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو ، دار المعرفة الإسكندرية .
5. زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفية ، مشكلة البنية ، دار مصر للطباعة .
6. ميشال فوكو ، نظام الخطاب ، ترجمة محمد سبيلا ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط/1، 1984.